

مأساة طرد مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة: الأبعاد والتحليل

~~~~~ دة. دوالي خديجة \*

**مقدمة:** تشكل تفاصيل عملية الطرد الجماعي التي تمت سنة 1018هـ/1609م على يد الملك فيليب الثالث "Fliepe III" بتحرير من المؤسسات الدينية والسياسية حلقة جديدة ومكاملة لمسلسل الإقصاء الديني والاجتماعي والحضاري الذي مارسه السلطة والكنيسة يومئذ بكل قسوة وظلم تجاه الجماعة المسلمة.

فأي دراسة حول موضوع طرد مسلمي إسبانيا لا بد أن تقودنا سريعا إلى الاقتناع بالأبعاد التي آلت إليها قضيتهم كقضية تاريخية، والحقيقة أن ماضي إسبانيا ومستقبلها يتشابكان بطريقة معقدة مع الصراعات والمواقف الإيديولوجية التي تركت بصماتها على القرن العاشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر ميلادي.

لهذا يعد موضوع طرد مسلمي إسبانيا من أهم الأحداث التي حفلت بالتبعات على جميع الأصعدة التاريخية، الاجتماعية، الاقتصادية، والسياسية، وقد تجاوز كل هذا ليحتل مكانة كأزمة ضمير جماعي للإسبان في عصره وفي عصور لاحقة؛ فالطرد الجماعي لشعب تم تعميده قصرا وظلما ليس له سابقة في تاريخ النصرانية، وهو حدث شاذ بكل المقاييس المدنية والدينية؛ ذلك أن بتر الجماعة المسلمة من إسبانيا أدى إلى عواقب يصعب فهمها تقريبا، فهي وإن كانت تبدو جليلة أمام كل شخص متأمل إلا أنها تلقي بالدهشة والذهول في نفوس كثيرين آخرين.

لقد تم طرح هذا الاجراء آلاف المرات وكأنه مقاطعة مع ماض قريب جسده الملك كارلوس الخامس "Carlos V" <sup>(1)</sup> وفيليب الثاني "Fliepe II" <sup>(2)</sup>، وماض آخر أكثر عراقا لم يمت كلية، إنه ماضي التسامح والتعايش السلمي الذي عرفته الأندلس <sup>(3)</sup> خلال القرون الوسطى. فما كان يتم

\* أستاذة محاضرة ب في التاريخ الحديث والمعاصر - قسم التاريخ - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة ابن خلدون - تيارت.

التلاعب به ليس ما يطلق عليه اليوم "حقوق الإنسان"، بل ما إذا كان المجتمع في دفاعه الحربي عن العقيدة الكاثوليكية<sup>(4)</sup>، كان يعمل بمقتضى الالتزام الأخلاقي لهذه العقيدة أم لا، وهو يتوغل في نفق لا مخرج منه من الهرطقة<sup>(5)</sup> الممارسة عمليا؛ إن سمة الحل النهائي التي كست عملية الطرد لم تؤد سوى إلى إثارة الندم الحزين كنتيجة لهذه التجربة المؤلمة حسبما رآها الكثيرون.

فقد اعتبرت السلطات الإسبانية قرار الطرد هو حل مثالي وصائب لتطهير إسبانيا من أي عقيدة غير الكاثوليكية، في حين وجدته الكثير من مسلمي إسبانيا فرجا من الله سبحانه وتعالى لتخليصهم من الظلم والتنكيل الذي عانوه طيلة أكثر قرن من الزمن<sup>(6)</sup>؛ فعملية الطرد هذه كانت بالنسبة لهم الخلاص بعدما فشلت كل المحاولات التي اعتمدها في سبيل البقاء في أرض الآباء والأجداد.

فمن خلال هذه الجزئية سنسلط الضوء على أهم الوقائع التاريخية التي جرت قبل وأثناء عملية الطرد، مع أن الكثير من الدراسات تناولت هذا الموضوع بكثير من التفصيل، ومع هذا فكان لا بد لنا من وقفة مع هذه المحطة التاريخية الحاسمة من مسار المحنة الإسلامية في إسبانيا. ولقد اختلفت المواقف اتجاه هذا القرار، كما اختلفت في ذلك دوافعه، وقبل أن نتطرق إلى دراسة الموقف المؤيد والمعارض لهذا المشروع، وتفاصيل عملية الطرد، علينا التوقف أمام أهم الأسباب التي كانت وراء تحريكه.

**1- الدوافع المحركة لمشروع الطرد:** يستخدم المؤرخون مصطلح "طرد" عند الحديث عن تنفيذ المرسوم الملكي الصادر عام 1018هـ/1609م القاضي بـ: "...أن يخرج كل موريسكي<sup>(7)</sup> هذه المملكة، وأن يرحلوا إلى بلاد البربر..."; فمصطلح "الطرد" يحمل معنى النفي والإخراج من الأرض، وإقامة المطرود في مكان بعيد عن أرضه.

إن المعاني الثلاثة "طرد، وإخراج، ونفي" موجودة في عنوان وموضوع هذا المقال، إذ تحدد عملية الطرد تاريخا فاصلا بين الفترة السابقة (التي تم فيها إخراج مسلمي إسبانيا) والفترة اللاحقة (التي استقروا فيها في بلاد المنفي)، كما اتحدت مجموعة من الدوافع لتحرك مشروع الطرد النهائي لمسلمي إسبانيا، وفي السياق نفسه تفاوتت هذه الأسباب في مدى تأثيرها على القرار.

\***العامل الديني:** لعبت الكنيسة<sup>(8)</sup> دورا حاسما في حشد طاقات الممالك الشمالية<sup>(9)</sup> ضد الأندلس على مر قرون من الصراع<sup>(10)</sup> بين النصرانية والإسلام، ولم يتوقف دورها عند سقوط

غرناطة<sup>(11)</sup> فقط بل انتقلت الحرب إلى العدو المغربية في منتصف القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر ميلادي وبعده.

وبما أن قشتالة "Castilla"<sup>(12)</sup> انقسمت إلى مجتمعين أساسيين: أحدهما عسكري والثاني كهنوتي، فكان من الطبيعي أن تستمر الكنيسة في دورها لنصرة العسكرية أيام كارلوس الخامس وفيليب الثاني ولكنها اعترفت بفشلها على عهد فيليب الثالث<sup>(13)</sup>، ولو أن مشروع الطرد النهائي كانت بدايته الفعلية على عهد فيليب الثاني، ولكم كان هناك أمل يراود رجال الكنيسة بتحقيق مساعيهم في تنصير مسلمي إسبانيا، لهذا قررت تعطيل مشروع الطرد إلى وقت لاحق وليس إلغائه نهائياً.

مع هذا كله واصل مسلمو إسبانيا المقاومة والتصدي لهذه القرارات الزجرية، ولما رأى أسقف بلنسية "Valencia"<sup>(14)</sup> أن الملك لم يتخذ قراراً عملياً فوراً لتهجيرهم، بعث بتقريرين إلى البابا يوضح فيهما خطرهم على البلاد؛ وبالمقابل اقترح عليه ضرورة تطبيق قرار الطرد. فلقد تأكد لدى هذا الأسقف استحالة تنصير ما تبقى من الجماعة المسلمة في المنطقة خصوصاً وإسبانيا على وجه العموم<sup>(15)</sup>.

**\*العامل الاقتصادي:** لم تكتف السلطات الإسبانية بعمليات المصادرة وفرض الغرامات، بل أصبحت ترى في طرد مسلمي إسبانيا أفضل حل لتحقيق المزيد من الثراء والحصول على موارد أكثر أهمية، فأصبح بذلك قرار الطرد حجة تذرعت بها باعتبار أن هذا القرار هو الكفيل بإنقاذها من الأزمة المالية التي كانت تتخبط فيها المملكة وتمكينها من تسديد ديونها الهائلة التي كانت تتعاظم عليها بصفة مستديمة<sup>(16)</sup>.

**\*العامل الاجتماعي:** مثل مسلمو إسبانيا أقلية دينية تتمتع بنفوذ سياسي ضئيل، ولأنهم عموماً كانوا فقراء عاجزين عن مد السلطة بالمال الذي كانت تطالبهم به المرة تلو الأخرى، ولأنهم أصرروا على التمسك بشخصيتهم المستقلة في وجه كل الضغوط التي مورست عليهم طيلة أكثر من قرن من الزمن، فقد كان مصيرهم الطرد من أرض آبائهم وأجدادهم.

وفي تلك الحقبة أيضاً من تاريخ إسبانيا كانت المضاعفات النفسانية للهزائم التي لحقت بإسبانيا تفوق بأضعاف التأثير الفعلي لتلك الهزائم، إذ وجدت السلطات الإسبانية أن الحروب التي قادتها إلى القمة هي نفسها تلك التي قادتها إلى الهاوية.

\*العامل السياسي والعسكري: إن المسلمين الذين هاجروا من غرناطة أثناء حرب الثلاث سنوات (964-676هـ/1569-1671م)<sup>(17)</sup> أخذوا في طريقهم يحطمون الأديرة<sup>(18)</sup> والصلبان<sup>(19)</sup>، ويعذبون الرهبان انتقاما لما حدث لهم على أيدي القوات الإسبانية، وثأرا لمواقفهم، أمام هذا الوضع الخطير اجتمعت لجنة لبحث مسألتهم في السنة نفسها التي ثاروا فيها، لكن أبحاثها ذهبت عبثا، وبقي النصراري ينظرون إليهم نظرة أعداء فرض عليهم التعايش معهم<sup>(20)</sup>.

كما كان تخوف السلطات الإسبانية من تعاون عسكري بين مسلمي إسبانيا وباقي دول العالم الإسلامي سببا كافيا في التفكير في حل جذري لتفادي تأسيس أي تكتل أو حلف يأتي من العدو المغربي أو من الخلافة العثمانية قد يساهم في إسقاط الحكم النصراني الكاثوليكي بإسبانيا<sup>(21)</sup>، لهذا وذاك لم تجد السلطات الإسبانية حلا آخر سوى طرد مسلمي إسبانيا لاجتتاب كل الأخطار التي قد تأتي من ورائهم.

**2) قراءة تحليلية في دوافع الطرد:** صرحت السلطات الإسبانية معللة قرار الطرد هذا أن السبب الرئيس يكمن في اتهام المسلمين بعدم إخلاصهم للديانة النصرانية الكاثوليكية ومقاومتها لهم بشتى الطرق؛ فلقد وصلت السلطة السياسية والدينية في إسبانيا إلى اليأس التام من تنصيرهم؛ لذلك كان قرار الطرد هو الحل النهائي والوحيد لهذا المشكل. هذا ما سوف يتضح جليا من خلال هذا النص التاريخي المستنبط من تقرير كان خلاصة اجتماع رجال المملكة برئاسة الملك ورد فيه ما نصه<sup>(22)</sup>:

"... لا بد من الاستمرار في تنفيذ أمر طرد الموريسكيين تحقيقا لخدمة المسيح ولأمن إسبانيا".

من خلال ما ورد في نص هذا التقرير يمكن استخلاص سببين مهمين: السبب الديني والسياسي. أما السبب الديمغرافي فلم يرد ذكره في التقرير إلا أنه يمكن للباحث إدراجه ضمن ما يسمى بـ «أمن إسبانيا»، فقد كان تخوف السلطات الدينية والسياسية من العامل الديمغرافي واضحا، هذا ما وضحته بعض التقارير التي قدمتها بعض الجهات المسؤولة في البلاط الإسباني للسلطات الحاكمة؛ وقد توصل إليها أيضا شهاب الدين الحجري<sup>(23)</sup> حين كتب في مؤلفه حول الموضوع يقول: "... اعلم أن أهل الأندلس كانوا مسلمين في خفاء من النصراري، ولكن يظهر عليهم الإسلام ويحكمونه فيهم. ولما تحقق منهم ذلك لم يأمن فيهم ولا كان يحمل منهم

أحدا إلى الحروب، وهي التي تفني كثيرا من الناس. وكان أيضا يمنعهم من ركوب البحر لئلا يهربوا إلى أهل ملتهم، والبحر يفني كثيرا من الرجال. وأيضا في النصارى كثيرون قسيسون ورهبان وراهبات، وبتركهم للزواج ينقطع فيهم النسل. وفي أهل الأندلس لم يكن فيهم قسيسون ولا رهبان مترهبات، إلا جميعهم يتزوجون ويزداد عددهم بالأولاد ويترك الحروب وركوب البحر. وهذا الذي ظهر على إخراجهم لأنهم بطول الزمن يكثرون...<sup>(24)</sup>.

هذا فيما يخص الرواية التاريخية الأندلسية أما ما حرره الإسبان بهذا الصدد فنذكر على سبيل المثال لا الحصر ما كتبه مارتين دي سالبتيرو أسقف سقورية بمملكة بلنسية في تقرير بعثه إلى البلاط الملكي يقضي بطرد كل الذكور للمسلمين، كبار وصغاراً، حتى ينقرضوا بسرعة.

أيضا نجد القس ألونسو كوتيرس يقترح الحل نفسه، ولكن فقط لتحديد نسلهم؛ فيما اقترح بדרو بونسي دي ليون، الذي قضى عشرين عاما في خدمة البلاط الملكي، على المجلس إرسال كل شباب المسلمين الذين تتراوح أعمارهم بين ثماني وأربعين سنة للعمل في السفن، وبإبعاد هذه الفئة عن المجتمع المسلم يقل نسلهم<sup>(25)</sup>.

من خلال هذه النصوص التاريخية لشخصيات عاصرت الحدث، فإن السبب الرئيس من وراء تطبيق قرار الطرد، هو العامل الديمغرافي الذي كان يشكل خطرا حقيقيا على العنصر البشري النصراني في إسبانيا.

وفعلا فإن مسلمي إسبانيا كانوا في تزايد بنسبة أكبر من نسبة تزايد الإسبان، فمن خلال إحصاء تم استخلاصه سنة 977 هـ/1572م وإلى غاية سنة الطرد 1018 هـ/1609م ازداد نمو الإسبان بنسبة 44.7%، في حين ازدادت نسبة نمو المسلمين بـ 59.7%<sup>(26)</sup>، وهذا التزايد كان يشكل قلقا دائما بالنسبة للإسبان.

من خلال هذه التقارير يتضح تخوف السلطات الدينية والسياسية من النمو الديمغرافي عند مسلمي إسبانيا<sup>(27)</sup> الذي كان يشكل خطرا على "أمنهم القومي"، حتى وإن حاولت الكنيسة والسلطة السياسية إخفاء هذا السبب ظاهريا إلا أنه كان موجودا في أذهانهم، هذا التخوف ترجمته مجموعة التقارير التي صدرت منهم بعد دراسة دقيقة لكل الأوضاع.

انطلاقاً من المعطيات المذكورة أعلاه تبينت لدينا مجموعة من الأسباب: دينية، ديموغرافية، اقتصادية واجتماعية، سياسية وعسكرية، كل هذه العوامل مجتمعة جعلت من السلطات الإسبانية وعلى رأسها الملك تصدر قراراً سياسياً بمباركة الكنيسة بطرد مسلمي إسبانيا جميعاً ونهائياً.

**(3) إجراءات الطرد:** بعد إرغام مسلمي إسبانيا على التنصير، وحرق كتبهم، ومسح ثقافتهم، ومصادرة أموالهم، واستبعاد أبنائهم ونسائهم، وقتل رجالهم، وقمع مقاومتهم، ومتابعتهم لأتفه الأسباب، ومنعهم من استعمال لغتهم العربية وحرمانهم من ممارسة عاداتهم، ومتابعة تشريدتهم وتشيتيتهم، وحرق زعمائهم، ثم خذلان القوى الإسلامية لهم، لم تصل الكنيسة الكاثوليكية ولا السلطة السياسية الإسبانية إلى النتيجة المبتغاة منهم؛ فاهتزمت أمام تصميمهم على الثبات على الإسلام، وارتعت منهم على ضعفهم وقلة حيلتهم كلما اكتشفت أو تخيلت مؤامرة ضدها من طرفهم.

**\*الإجراءات التشريعية لعملية الطرد:** استنتجت الكنيسة والسلطة الإسبانية استحالة إخلاص مسلمي إسبانيا للنصرانية، فأخذوا يفكرون في الحلول اللازمة لهذا المشكل العويص، وانقسمت بذلك الاقتراحات إلى ثلاثة اتجاهات:

— جمع مسلمي إسبانيا في أحياء خاصة بهم. وهذا الحل اقترحه الراهب فرانسيسكو دي رياس "Francisco de rias" سنة 987هـ/1582م، إذ خير المسلمون بين النصرانية الكاثوليكية أو الإسلام، فالذين يختارون النصرانية والاندماج في المجتمع النصراني، تتابع حراستهم ومراقبتهم من طرف النصارى القدامى؛ أما الذين يختارون الإسلام فيجمعون في أحياء خاصة بهم، ويسمح لهم بإتباع دينهم، وتراقب الأحياء الإسلامية بعدد من الجنود النصارى تمول نفقاتهم من طرف المسلمين، ويكون قضائهم من النصارى. وبهذا ينتهي الجدل القائم حول عقيدتهم وغموض وضعيتهم.

الاقتراح نفسه أرسل به الراهب ألونسو كوتيريس "Alonso coutyris" من اشبيلية<sup>(28)</sup> سنة 993هـ/1588م، فاقترح على المجلس أن تضاعف عليهم الضرائب، ويؤخذ منهم خمس الميراث ويمنعون من التنقل دون علامة واضحة على وجوههم تبين أنهم مسلمين.

— أما الحل الثاني فقد اقترحه الراهب تريخوس "Tryros" الذي كان من أب نصراني وأم مسلمة سنة 978هـ/1573م، تضمن القضاء على مسلمي إسبانيا باختطاف كل الأطفال الذين لا تتعد

أعمارهم ست سنوات وتسليمهم للنصارى القدامى لتربيتهم على الدين النصراني، ومنعهم من الزواج حتى لا يتناسلوا، وبهذا ينقضون مع مرور الزمان. أما المناصر للحل الثاني المطران ربيرا "Revira" فقد اقترح القضاء على مسلمي إسبانيا باسترقاقهم، وبأخذ كل سنة بضعة آلاف رجل منهم للعمل في السفن والمناجم حتى يتم إفناؤهم.

- في حين ابتدأت فكرة الحل الثالث تبلور منذ اجتماعات الأشبونة التي حضرها فيليب الثالث لتنصيبه ملكا على البرتغال بعد هزيمتها في موقعه وادي المخازن. وقد لاقى هذا الاقتراح ترحيبا من رجال الدولة والكنيسة؛ فتاريخ /986هـ/ 12-04-1581م كون الملك لجنة لدراسة وضع المملكة الداخلي والخارجي الناتج عن الخطر الإسلامي، وعقدت اللجنة لهذا الغرض اجتماعين آخرين أحدهما كان بتاريخ 987هـ/ 9-6-1582م، أما الثاني فقد تم في 987هـ/ 13-9-1582م توصلت فيهما إلى قرار طرد جميع المسلمين خارج إسبانيا؛ وقدمت توصية لمجلس المملكة (الكورتس) بتاريخ 987هـ/ 19-9-1582م للمصادقة عليه.

تدارس مجلس المملكة محاسن ومساوئ طرد المسلمين؛ فرأى أعضاؤه أن معظم المساوئ اقتصادية بسبب انخفاض دخل الملك والنبلاء في حالة طردهم<sup>(29)</sup>. أما الأمنية فتكمن في احتمال حدوث مقاومة عند إخراجهم؛ ودينية بسبب خسارة أرواح هؤلاء المطرودين نهائيا للدين النصراني. فرأى أعضاء المجلس أن كل هذه المساوئ، لا تمثل شيئا أمام المحاسن التي تترتب عن هذا الطرد، وهي أن يعم السلام في البلاد وأن تتوحد دينيا، لذا وافق رجال الكنيسة بالإجماع على قرار الطرد، بما فيهم أسقف طليطلة<sup>(30)</sup> وبلنسية.

وهكذا بقيت فكرة الطرد بين المد والجزر، بالرغم من اقتناع الملك بها، ولكن تردد في تنفيذها خوفا من معارضة نبلاء مملكتي بلنسية وأراغون القديمة<sup>(31)</sup>، وانتظارا لتوفير الميزانية الضرورية لتنفيذ مثل هذا المشروع، وكذلك لعدم ملائمة الأوضاع الدولية؛ أمام كل هذه المعطيات الداخلية والخارجية تقرر تأجيله، لكن كبار المملكة ورجال الدين حاصروا الملك وأقنعوه بضرورة الإسراع بتنفيذه.

أمام الضغوطات التي مورست على الملك، أصدر هذا الأخير مرسوما ملكيا يقضي بطرد كل المسلمين في ظرف شهرين، والحكم بالإعدام شنقا على كل متخلف؛ واستثنى من ذلك الأطفال، بحيث تقرر تسليمهم للكنيسة لتنشئهم على الديانة النصرانية الكاثوليكية. وعلى الرغم من أن

المجلس أوصى بتطبيق هذا الأمر في شتاء السنة نفسها إلا أن الملك تردد في تنفيذه، وبقي الوضع معلقاً إلى أن مات فيليب الثاني سنة 1003هـ/1598م.

بعد وفاة الملك بسنة فقط أي بتاريخ 1004هـ/3-1-1598م عقد مجلس المملكة اجتماعاً بحث فيه قرار الطرد، وأوصى هذه المرة بطرد الرجال الذين تزيد أعمارهم عن الستين سنة والنساء إلى العدو المغربية؛ أما الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين خمسة عشر وستين سنة فيحكم عليهم بالأشغال الشاقة في السفن مدى الحياة، وبمصادرة ممتلكاتهم.<sup>(32)</sup>

أما بتاريخ 1004هـ/2-2-1599م تقدم الدوق دي ليرما بمشروع أوصى من خلاله بإعدام كل من كان بين الخامسة عشر والستين سنة أو استرقاهم مع مصادرة ممتلكاتهم؛ فتابع المجلس دراسة الموضوع طوال سنة 1004هـ/1599م في سرية تامة؛ انتهى بإصدار قرارا يقضي بطرد كل مسلمي إسبانيا، وبالتالي أمر القائمين على العملية بإحصاء جميع المسلمين وتجهيز قوة عسكرية كبيرة للإشراف على حسن سير العملية.<sup>(33)</sup>

وأخيراً وقع الملك قرار الطرد في 1018هـ/11-9-1609م وفقاً لعريضة جمعت مجموعة من البنود جاءت كالآتي:

- عدم تنفيذ قرار الطرد على مستوى مملكة قشتالة إلا بعد أن تتبين نتيجة تنفيذه في بلنسية.
- تأليف لجنة للنظر في وضع أبناء "الموريسكيين".
- توزيع القوات المسلحة لتجنب وقوع أية مقاومة.
- اتخاذ التدابير اللازمة لمراقبة تحركات "الموريسكيين".
- مصادرة كل ممتلكاتهم.
- يستثنى من الطرد كل النساء النصرانيات المتزوجات "بالموريسكيين" وأطفالهن، و"الموريسكيين" المخلصين للنصرانية.

\*الإجراءات التنفيذية: في القرن العاشر هجري الموافق للقرن السادس عشر ميلادي لم تكن هناك سكك حديدية أو أي وسائل تكنولوجية تسمح بالقيام بمثل هذه العملية التي كانت تقضي إلى استئصال تام وفعال لأقلية كانت في زمن مضى هي المسيطرة والفاعلة في المنطقة على النحو الذي يمكن تنفيذه في وقتنا الحالي؛ وعليه فيمكن تخيل مأساة هؤلاء المغلوبين على أمرهم، وهم يسحلون في الشوارع والطرق مع العجائز والمرضى والأمهات الحوامل، فلم يكن الطرد عرضاً خاصاً ليوم

واحد، بل كانت عملية متأنية بدأت منذ عام 1018هـ/1609م ولم تنته إلا مع نهاية سنة 1023هـ/1614م.

كما لم يتبع عملية طرد مسلمي إسبانيا أي نوع من الجدل العام مثلما حدث بشكل ما قبل الطرد، لأن فكرة الحوار نفسها لم تكن مقبولة في المجتمع الذي ساهمت حادثة الطرد في قبولته بشكل قاطع، ومع ذلك فقد ترك طرد مسلمي إسبانيا جرحا عميقا، وانضم ألمه المكبوت إلى الفكرة المزعجة الداعية إلى اعتبار حدث الطرد كجزء مما يطلق عليه "قضية إسبانيا".

فمنذ سنة 1018هـ/1608م، ابتدأت الإشاعات تنتشر وتؤذن بقرب تطبيق قرار الطرد، فأقبل مسلمو إسبانيا القادرون على الهجرة ببيع ممتلكاتهم ثم الهجرة في ظروف أفضل من تلك التي قد تصاحب عملية الطرد، وهكذا عبرت أعداد كبيرة منهم البحر قاصدة المدن الساحلية المغربية، في حين فضلت بعض الأسر عبور جبال ألبرت متجهة نحو فرنسا.

لم يتأخر صدور المرسوم الملكي بطرد مسلمي إسبانيا، ففي يوم 28-8-1605م أمرت السلطات الإسبانية من المسلمين الحضور مصحوبين بأمتعتهم وأموالهم في ظرف لا يتجاوز ثلاث أيام ليحملوا على متن سفن إلى خارج إسبانيا، ويستثنى من ذلك كل الأطفال البالغ أعمارهم أربع سنوات<sup>(34)</sup>.

بناء عليه رست السفن الإيطالية بتاريخ 09/17 من السنة نفسها في موانئ مملكة بلنسية، وتولت القوات العسكرية حراسة حدودها مع مملكة أراغون القديمة، وفي يوم 21 من الشهر والسنة نفسها، اجتمع الملك مع أعضاء مجلسه والنبل، ليتقرر إعطاء الإشارة الخضراء بتفعيل قرار الطرد<sup>(35)</sup>.

لقد اختار فيليب الثالث لتنفيذ هذه المهمة رجلا هرما يدعى أوغسطين ميچيا " Augustin Mejia"<sup>(36)</sup>، هذا الأخير قصد في بداية مهمته بلنسية، وقد استقبله عند وصوله كل من قس المدينة ونائب الملك بها<sup>(37)</sup>، فأمر بجمع السفن الإيطالية في جزيرة ميورقة<sup>(38)</sup>، حيث سيسهل توجيهها إلى موانئ الترحيل بمملكة بلنسية، كما طلب من القوات العسكرية أن تكون في حالة تأهب تخوفا من أي ردود فعل عنيفة.

لم يصل صيف سنة 1018هـ/1609م حتى اجتمعت خمسون سفينة في ميورقة، مدعمة بحوالي أربعة آلاف جندي، بالإضافة إلى حرسها وخيالة قشتالة لمراقبة حدودها البرية، كما كلفت وحدات

الأسطول الإسباني الموجودة بالمياه الإقليمية للمحيط الأطلسي بمراقبة شواطئ المغرب العربي<sup>(39)</sup>،  
يتزعمهم القائد أوكندو "Oukando"<sup>(40)</sup>.

- طرد مسلمي مملكة أراغون: بعد مملكة بلنسية قررت السلطات الإسبانية طرد مسلمي مملكة أراغون<sup>(41)</sup>، لذلك أصدر الملك فيليب الثالث في 04/17 من سنة 1018هـ/1609م في البلد الوليد<sup>(42)</sup> قرارا يقضي بطرد مسلمي مملكة أراغون القديمة، وفي 1019هـ/29-5-1610م نشره الماركيز دي أيتونا "De aytona"، نائب الملك الأمر في سرقسطة<sup>(43)</sup>.

تقياً نائب الملك لعملية إجلاء مسلمي أراغون، فأمرهم بالتجمع في خمسة وثلاثين نقطة، ثم التوجه بعدها إلى خمس مدن على حدود أراغون القديمة، وهي فبارة، مايلة، بال دي روبلس، بنيا روجا وأغوايبيا. مرت عملية طرد مسلمي مملكة أراغون دون مقاومة تذكر، وبمصاعب أقل مما حدث في مملكة بلنسية، غير أنها مرت على المسلمين في جو من البؤس والألم، وصفه وصفا دقيقا أرنار كاردونا "Azner Cardona" فكتب واصفا الموقف يقول: "...كانت جماعاتهم تمر في فوضى كاملة، يختلط فيها الراجلون مع الفرسان، يتجاذبون وهم يتقطعون بالآلام وينفجرون بالدموع، يرتفع منهم ضجيج كبير وصراخ، محملون بأطفالهم ونسائهم ومرضاهم وعجزتهم، يغطيهم العرق والغبار، بعضهم يركب فوق العربات يراحمون أمتعتهم وآخرون يمشون على الأقدام، منكسري الجناح لباسهم رديء كلهم ينظرون إلى النصارى الذين كانوا يتفرجون عليهم ويقولون لهم: ليحرسكم الله أيها السادة، استودعناكم الله وتمشى النساء بين الرجال، منهن فتيات، تظهر عليهن علامات التعب والألم والضياع، يتألم الجميع آلاما شديدة، وتقطعهم مرارة عظيمة، وكثير منهم يتساقط على الطريق ميتا من الحزن، بينما يضطر الباقون إلى دفع ثمن الماء والظل لأن الفصل كان صيفا..."<sup>(44)</sup>.

من خلال هذا الوصف الدقيق نلاحظ النهاية المروعة والحزنة التي آل إليها مسلمو المنطقة، فبعدما كانوا السادة أصبحوا عبيدا، وبعلماء كانوا أغنياء ومتحضرين أصبحوا فقراء وبؤساء، فلو علم ملوك الأندلس قبل ضياعها ما سوف يؤول إليه حالهم ما كانوا لينشغلوا باللهو والجون والشقاق والتشتت.

\***طرد مسلمي فالنسيا:** أعلن نائب الملك القرار في 22 سبتمبر من سنة 1610م، وأصدر تعليمات لم يتم تنفيذها كلياً، وتعين عليه إصدار تعليمات جديدة. ففي أوائل أكتوبر شهدت كل مواني فالنسيا - من أليكانت حتى بيناروث - رحيل أكثر من مائة وعشرين ألف مسلم على متن سفن ملكية وقوارب خاصة، في جو ساد فيه الكراهية والاعتداءات من طرف النصارى.

هذا ما أدى إلى ظهور مقاومة في القرى الجبلية بالداخل، لكنه تم إخمادها بشكل دموي، وبقي عدد قليل من المسلمين في فالنسيا، «حوالي ألف من كبار السن، كما يمكن إحصاء ثلاثة آلاف طفل سرقوا من عائلاتهم وبقوا مع عائلات نصرانية في فالنسيا.

\***طرد مسلمي قشتالة:** في أواخر عام 1610م/1018هـ<sup>(45)</sup> وقع الملك فيليب الثالث قرار طرد مسلمي قشتالة<sup>(46)</sup>، وكلف دون خوان دي مندوسه وماركيز دي سان جرمان " De saint germain" بتطبيقه<sup>(47)</sup>.

\***طرد مسلمي مرسية:** بتاريخ 18-1-1610م، نشر أمر بطرد مسلمي مملكة مرسية<sup>(48)</sup>، وكلف المجلس دون لويس فاخاردو Don Luise Farardo<sup>(49)</sup> بتنفيذ المهمة؛ فطرد في المرحلة الأولى حوالي 15.000 مسلم وبقي حوالي 2500 منهم في وادي رقوط<sup>(50)</sup>. وفي 8-1020هـ-11-1611م غير الملك رأيه، وأصدر أمراً بطرد جميع مسلمي مرسية.

لكن سكان وادي رقوط رفضوا تنفيذ قرار ترحيلهم بحجة إخلاصهم للدين النصراني الكاثوليكي، ولكن وصول تقارير إلى الملك مفادها تظاهريهم بالنصرانية وإخفائهم اعتناق الدين الإسلامي<sup>(51)</sup> جعل الملك يصدر قراراً جديداً يقضي بطرد جميع سكان وادي رقوط، ومن تخلف من باقي مسلمي مرسية<sup>(52)</sup>.

\***طرد مسلمي الأندلس:** حاول المسؤولون والأهالي النصارى على مستوى المنطقة منع طرد المسلمين منها، كما حدث في مملكة مرسية، مما يدل دلالة قاطعة أن معظم هؤلاء ينحدرون من أصول إسلامية ويضمرون التعاطف مع إخوانهم في محنتهم، ومع ذلك اتخذ الملك فيليب الثالث قرار الطرد الذي أعلن عنه في إشبيلية وأمر بتطبيقه.

نص القرار على أنه حددت فترة قدرت بثلاثين يوماً لكي يبيع المطرودون أملاكهم المنقولة ويتهيؤون للإبحار، لكن ماركيز سان جرمان، المكلف بتنفيذ المهمة، قلص هذه الفترة إلى عشرين يوم، كما أذن لهم باصطحاب أطفالهم مهما كانت أعمارهم هذا إن اختاروا الهجرة إلى بلدان

كاتوليكية، أما إذا كانت هجرتهم إلى المغرب العربي فلن يسمح لهم باصطحاب أطفالهم الذين تقل أعمارهم عن سبع سنوات، وعليهم تركهم في إسبانيا<sup>(53)</sup>. ويقدر عدد من أخرج من الأندلس بحوالي 32.000 مسلم.

\***طرد مسلمي أراغون:** في 29 ماي من سنة 1019هـ/1610م أصدر الملك قرارا يقضي بطرد مسلمي أراغون<sup>(54)</sup>؛ وتضمن المرسوم بنودا شبيهة بقرارات الطرد الأخرى<sup>(55)</sup>. وبهذا خرج المسلمون برا عن طريق جبال البرانس، أو بحرا عن طريق ميناء الفاكيس القطالوني عبر نهر إيرو، متجهين نحو بلدان المغرب العربي<sup>(56)</sup>، أو البلدان العالم العربي والإسلامي التابعة للخلافة العثمانية، كما اضطروا آخرون إلى الرحيل نحو دول أوروبية مثل مملكة فرنسا<sup>(57)</sup> أو إيطاليا<sup>(58)</sup>.

4) - **احصاء عدد المطرودين:** عندما تأكد الملك الإسباني فيليب الثالث، قبل أربع قرون من الزمن من الآن، بأن أحفاد المسلمين الذين تم إطلاق اسم "الموريسكين" عليهم، متشبثون بدينهم وثقافتهم الإسلامية التي رسخها أجدادهم في بلاد الأندلس خلال فترة عشرة قرون، أصدر قراره المشؤوم في تساع أبريل من سنة 1018هـ/1609 القاضي بطردهم.

وهو القرار الذي جاء في صيغة قانون أصدره القصر الإسباني للتصنيف العرقية والدينية، والذي اعتبر الأول من نوعه الذي عرفته الإنسانية جمعاء، وأول تصنيف عرقية ودينية تشهدها أوروبا؛ وتشير كتب التاريخ إلى أن قرار الطرد لم يكن من السهل تطبيقه في ظل وجود عوامل متداخلة، سواء منها السياسية أو الثقافية أو حتى دينية، وهو ما كان يتطلب سنوات عديدة من الإجراءات شملت أسلوب التهيب والترغيب، مما استدعى إقامة محاكم التحقيق<sup>(59)</sup>، التي نصبت سنوات قبل إصدار قرار الطرد.

اختلف المؤرخون في تقديرهم لعدد المطرودين، فتفاوتت ما بين مائة وألف والمليون، لكن معظم من عايشوا الأحداث برهنوا على أن الإحصائيات أعطت أرقاما تتراوح ما بين 270.000 و340.000 مسلم، وتعود صعوبة تقدير عدد المطرودين إلى أسباب كثيرة منها:

- أعداد كبيرة من مسلمي إسبانيا أخرجوا من إسبانيا قبل تاريخ الطرد النهائي.

- أحصت السلطات الإسبانية عددا من مسلمي إسبانيا على أنهم طردوا منها، ولكنهم بقوا فيها دون علم الإدارة الإسبانية.

- تمكن بعض المطرودين من العودة إلى إسبانيا بعدما طردوا منها قسريا.

وهذا جدول يمثل أهم الروايات التاريخية التي قدمت لنا الإحصاءات حول أعداد المطرودين من إسبانيا:

| المؤرخ                                | عدد المطرودين                 |
|---------------------------------------|-------------------------------|
| بليدا Bleda                           | 340.672 مطرود <sup>(60)</sup> |
| بينالوسا Penalosa                     | 310.000 مطرود                 |
| ساروزار دي موندوزا Salozar de Mondoza | 313.000 مطرود                 |

هذه الإحصاءات قدمها مؤرخون شاركوا في صناعة الحدث التاريخي بشكل مباشر أو غير مباشر أو على الأقل عاصروه. وما يلاحظ عنها أنها كانت متقاربة فيما بينها إلى حد كبير فلا يوجد فارق كبير بينها.

وهناك مؤرخون آخرون من القرن الحادي عشر هجري الموافق للقرن السابع عشر ميلادي أعطوا أرقاماً أخرى:

| المؤرخ                                           | تقدير عدد المطرودين |
|--------------------------------------------------|---------------------|
| إيكزولانو "Exolano"                              | 600.000 مطرود       |
| رودريغو مانديز سليفا "Mendez Sliva Rodrigo"      | 900.000 مطرود       |
| فرونسو بارترو "François Bertant" <sup>(61)</sup> | بعدة ملايين         |

من خلال هذه الأرقام نلاحظ تفاوتاً واختلافاً واضحاً بين الروايات التاريخية الأربع، ولا يوجد أي تقارب بينها؛ هذا فيما يخص مقارنتها ببعضها البعض، أما فيما يخص مقارنتها بالأرقام المعروضة في الجدول الأول فهناك فارق كبير، ولا يوجد أي اتفاق حتى ولو نسبي فيما يخص العدد التقريبي للمطرودين. أما المصادر الأندلسية فقد قدرت عدد المسلمين المطرودين بـ <sup>(62)</sup>:

| المؤرخ         | تقدير عدد المطرودين |
|----------------|---------------------|
| الشهاب الحجري  | 800.000 مطرود       |
| ابن عبد الرفيق | 600.000 مطرود       |

من خلال الرقمين المقدمين من طرف مؤرخين عاصروا الحدث التاريخي ولكن لم يعايشوه نلاحظ نوع من التقارب العددي بين الروايتين.

وهذا جدول مجزء يضم العدد التقريبي للمطرودين من كل منطقة أثناء المرحلة الأولى من التهجير وجاء على النحو التالي:

| عدد المطرودين | المدينة   |
|---------------|-----------|
| 150.000       | بلنسية    |
| 80000         | غرناطة    |
| 64000         | أراغون    |
| 44000         | قطالونيا  |
| 82127         | قشتالة    |
| 6552          | مرسية     |
| 1100          | قلعة رباح |
| 2500          | فال ريكون |

في حين قدم الباحث المختص في الدراسات الأندلسية محمد عبد الله عنان هذه الدراسة الإحصائية لعدد المطرودين قبيل سنة الطرد وخلالها محاولا إثبات نظرية عدم تمكن السلطات الإسبانية من طرد كل مسلمي إسبانيا<sup>(63)</sup>.

قبل عملية الطرد:

| المنطقة<br>(مملكة أراغون) | السنة | مجموع السكان | نسبة المسلمين |
|---------------------------|-------|--------------|---------------|
| مملكة بلنسية              | 1608  | 580000       | 39.7%         |
| مملكة أراغون القديمة      | 1608  | 352.000      | 20.5%         |
| مملكة قطالونيا            | 1608  | 488.000      | 12.2%         |

بعد عملية الطرد:

| المنطقة              | السنة | مجموع السكان | نسبة المسلمين |
|----------------------|-------|--------------|---------------|
| مملكة بلنسية         | 1609  | 440.000      | 20.5%         |
| مملكة أراغون القديمة | 1609  | 291.000      | 16.8%         |
| مملكة قطالونيا       | 1609  | 1.215.000    | 12.2%         |

ديموغرافية مسلمي مملكة قشتالة وتوابعها سنة 1018-1019هـ/1608-1609م

| المنطقة | قبل الطرد | عدد المطرودين | الباقين | النسبة |
|---------|-----------|---------------|---------|--------|
| قشتالة  | 85.000    | 50.000        | 35.000  | 59%    |

|              |         |        |         |     |
|--------------|---------|--------|---------|-----|
| الاسترمادورا | 17.000  | 8.000  | 9.000   | 53% |
| مرسية        | 38.000  | 22.000 | 16.000  | 58% |
| الأندلس      | 320.000 | 52.000 | 268.000 | 16% |

تبين الإحصاءات المعروضة في الجدولين عدم صحة خرافة الطرد النهائي والكلبي لمسلمي إسبانيا منذ سنة 1018هـ/1609م وإلى غاية سنة 1023هـ/1614م، خاصة بالنسبة للأندلس حيث لم يطرد سوى 16% من مجموع المسلمين المقيمين فيها، بينما لم يطرد سوى 29% من مجموع مسلمي مملكة قشتالة وملحقاتها.

وبسبب ذلك ينحدر اليوم معظم سكان منطقة الأندلس في حدودها الحالية من أصول إسلامية، على عكس ما حدث في مملكتي أراغون والقديمة وبلنسية حيث لم يبق فيها بعد الطرد سوى أعداد قليلة من مسلميها. هذا ما يفسر الشعور السائد في منطقة الأندلس الحالية بالانتماء إلى التاريخ الإسلامي، مما كون القاعدة الأساسية للقومية الأندلسية المعاصرة.

من خلال ما تم عرضه من معطيات تاريخية تبين للباحث أن تفاصيل عملية الطرد الجماعي التي تمت سنة 1018هـ/1609م شكلت حلقة جديدة ومكاملة لعملية الإفصاء الديني والاجتماعي والثقافي والحضاري والاقتصادي الذي مارسه السلطة والكنيسة يومئذ بكل قسوة وظلم تجاه الشعب المسلم الأعرل. فأى دراسة حول موضوع طرد مسلمي إسبانيا لا بد أن تقودنا سريعا إلى الاقتناع بالأبعاد التي آلت إليها قضيتهم كفضية تاريخية، والحقيقة أن ماضي إسبانيا ومستقبلها يتشابكان بطريقة معقدة مع الصراعات والمواقف الايديولوجية.

وبهذا يمثل طرد مسلمي إسبانيا حدثا بارزا في تاريخ إسبانيا خلال القرن الحادي عشر هجري الموافق للقرن السابع عشر ميلادي، إذ كان له طابعا مأساويا، بالنظر إلى فترة التعايش السلمي مع المسلمين في شبه الجزيرة على مدى تسع قرون من الزمن. فقد كانت مبررات طرد مسلمي إسبانيا لدى مخططيها ومنفذيها واحدة، إذ شكلت عملية الطرد نهاية وحشية لمسلمي إسبانيا، فمن الناحية الاجتماعية كان عبارة عن إلغاء الأغلبية لأقلية في المجتمع الإسباني في ذلك العصر.

ومن الناحية التاريخية فقد كان قرار الطرد نهاية لتسعة قرون من حياة الإسلام الأندلسي، نهاية حزينة لتاريخ مجيد؛ هكذا فهم معنى طرد مسلمي إسبانيا على أنه نهاية فترة تعايش ونهاية مرحلة تاريخية، هذا المغزى الاجتماعي والتاريخي يضفي طابعا مأساويا على مصير مسلمي إسبانيا ويضعهم في علاقة بلحظتين أساسيتين من حياة الإنسان:

اللحظة الأولى هي لحظة نهاية التعايش التي مثلها الطرد، هذا الأخير شكل رمزا لكل أشكال التوتر في العلاقة بين الإنسان والآخرين، واللحظة الثانية هي عملية انتهاء فترة تاريخية طويلة يطرح موضوع الموت، الموت الذي يسببه الآخرون، التعايش الاجتماعي وقتل النفس؛ وهي موضوعات في غاية الأهمية بالنسبة للفرد وللجماعة - نجدهما ممثلين في قضية مسلمي إسبانيا في القرن الحادي عشر هجري الموافق للقرن السابع عشر ميلادي، إنهما موضوعان يكتسبان أهمية سياسية معاصرة ومؤثران في حياة ملايين البشر.

### الهوامش:

1- كالوس الخامس: ولد في 24 فبراير عام 905هـ/1500م من خوانا "Juana" (الجنونة) في هولندا. كان له خمسة أشقاء هم على التوالي ليونورا "Ilionora" أكبرهم، تزوجت من مانويل الأول "Manuelle I" ملك البرتغال ثم لاحقا بفرانسوا الأول "François I" ملك فرنسا؛ إيزابيللا "Isabella" التي ارتبطت بكريستيان الثاني "Christiane II" ملك الدنمارك؛ بعدها يأتي فرديناند "Ferdinand" الذي تزوج من أنا "Anna" ابنة ملك المجر وبوهيميا؛ فشقيقته ماريا "Maria" التي اقترنت بـ لايوش الثاني "Blavoche II"؛ وأخيرا كاتارينا "Catarina" التي تزوجت من جواو الثالث "Goio III" ملك البرتغال. تعلمد كارلوس على يد وليام دي كروي حاكم شيفر (Chièvres)، بعدها أتم تعليمه أديريان الأترشي Adrian Utrecht "؛ كما ساهمت عمته الأرشيدوقة مار غريت "Marguerite" هابسبورغ في تربيته وتكوينه. وقد تلقى الأمير الشاب كل تعليمه في الفلاندر فتشبع بالثقافة الفلمنكية، رغم أصوله النمساوية الإسبانية. لم يكن مولعا بالدراسة، ورغم كونه ملك إسبانيا فإن لغته كانت الفرنسية، أما الإسبانية فتعلمها بشكل سطحي؛ وكان يفضل فنون الفروسية والصيد على أي أمر آخر. هذه النشأة جعلته لا يعرف الكثير عن قشتالة أو أراغون؛ ولكن جهله بممالكه في شبه الجزيرة الإيبيرية لم يكن العامل السلبى الوحيد، فقد اعتمد أيضا على حاشية كبيرة من الفلمنك جلبها معه حين وصل إلى قشتالة سنة 1517/922م. ينظر: عادل سعيد البشتاوي، الأندلسيون المواركة (دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة)، القاهرة: مطابع أنترناشيونال برس، د ط، 1403هـ/1983م، ص: 132.

2- فيليب الثاني: ولد فيليب الثاني في الحادي والعشرين من شهر ايار من عام 1527هـ/932م في أحد البيوت المجاورة للقديس بابلونون برناردينو "Bablodoné Bernardino"، التي عاش فيها باستمرار، وتبنى عادتها وتقاليدها ولغتها. ينظر: الحايك سيمون، ابن أمية أو ثورة الموريسكيين، د د ن، د ط، 1996م، ص: 33. قضى أولى سنوات حياته، بجانب والدته الملكة إيزابيللا البرتغالية، التي كانت تشرف على رعايته، تعيينها في ذلك ليونارد بمسكريناس (Leonor de Mascarenhas). وفي الثانية عشر من عمره، توفيت والدته التي كانت غالية في الرعاية والعطف، فخسر بذلك إنسانا، كان لا يحومه شيئا من الود والتضحية. تزوج الملك فيليب الثاني عام 1543هـ/948م، من ماريا "Maria" البرتغالية التي توفيت عام 1545هـ/950م، تاركة وراءها ولدا هو ضون شارل الثاني "Don Charles II". ينظر: محمد عبده حتمالة، التنصير القصري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكين، عمان، د ط، 1986م، ص: 13.

3- الأندلس: عبارة عن جزيرة متصلة بحر أقياسي اسمها في القدم إبارية، ثم سميت باطقة، وعرفت بعدلها بإسبانيا، ثم سميت بالأندلس. ينظر: محمد بن علي بن الشباط التوزري، وصف الأندلس (قطعة من كتاب صلة الضمط وسمعة للوط)، در وت: أحمد مختار العبادي، مدريد: المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ط: 1، 1971م، ص: 100. وذكر آخر أن الأندلس هي جزيرة متصلة بحر أقياسي اسمها في القدم أبابرية، وأول من نزل الأندلس وملكها وبني بها المدن وعرس الأشجار بعد موقعة الطوفان قوم يقال لهم الأندلس ابن نفرش بن يافت بن نوح عليه السلام وعليهم سميت الأندلس. ينظر: مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، مخطوط رقم: 1528، الرباط: الخزنة الحسنية. ورقة رقم: 66.

4- الكاثوليكية: تعني هذه التسمية العام أو العلمي، كاثوليكوس أصل هذه الكلمة هو اللفظة اليونانية وسميت الكنيسة الكاثوليكية بذلك؛ لأنها تدعي أنها أم الكنائس، ولأن أصحابها يزعمون أن مؤسسها هو بطرس ويعتبر الباباوات أنفسهم خلفاء له من بعده، وقتل الكنيسة الكاثوليكية

أكبر تجمع نصراني في العالم، ينتشر أتباعها في جميع بقاع الأرض ويرأسها البابا، وهو أسقف روما، ومقره مدينة الفاتيكان، يساعده في تصريف شؤون الكنيسة ما يطلق عليه السفارات البابوية التي تصدر بيانات البابا الرسمية، وبعض الوظائف الوزارية مثل وزارة الخارجية، وجمع الكراثة الذي يقوم بانتخاب البابا عندما يخلو الكرسي الرسولي. ينظر: بولوس وهبة، موسوعة الأديان، د.ت. ص: 213.

**5- الهرطقة:** مصطلح كنسي يشير إلى رأي أو فكرة مبتدعة تتعارض مع معتقدات الكنيسة أو النظام المرتبط بها. والهرطقة كلمة أصلها يوناني هو "hairesis" أخذها الأوروبيون من اللاتينية، ثم نقلت عن الفرنسية القديمة "HERESIE". ولا تعني هذه الكلمة أكثر من "الاختيار أو التفضيل" لذا كان النصارى الأوائل بالنسبة للرومان نوعا متقدما من الهرطقة لأهم فضلوا مفاهيمهم على المفاهيم التي كانت سائدة آنذاك ورفضوا تقدم الأضرحة للإمبراطور واعتبروا ادعاء بعض الأباطرة الألوهية باطلا. ينظر: عادل البشتاوي، للرجع السابق. ص: 209.

6- إن رضوخ مسلمي إسبانيا لقرار الطرد لا يجب أن يفهم على أنه كان موقفا استسلاميا، بل اعتبروه مرحليا فقط، الغرض منه الالتجاء إلى العثمانيين لاسترجاع ما ضاع منهم، وهذا ما سجله بعض الرهبان الذين قادوا عملية الطرد من بينهم راهب أزمار كاغدو "Azmar Cardono" الذي كتب حول الموضوع يقول: "...خرج المورسكيون من عمليات الطرد؛ وهم يهددون الإنسان بأنهم سيرجعون بمساعدة الأتراك لإعادة الإسلام إلى إسبانيا..." وأضاف في تقريره بأنه ظل العديد منهم يحتفظ بمفاتيح بيوتهم على أمل الرجوع. ينظر: راتشينا دون باسكوال بورونا، المورسكيون الإسبان ووقائع طردهم، ج: 1، تر: كنزة الغالي، د ب ن: مركز العمودي للترجمة ونشر التراث المخطوط، ط: 1، 1433هـ/2012م. ص: 160.

7- طرحت بعض الإشكاليات المرتبطة بمفهوم "المورسكي" "Moresque" باللغة الفرنسية و"Moriscos" بالإسبانية، من حيث كونه شخصية ثقافية وتاريخية، فقد عبرت عما يمكن أن نسميه بـ "الظاهرة المورسكية" التي وجدت في مرحلة من مراحل تاريخ إسبانيا عن مجموعة بشرية عاشت تحت وطأة اضطهاد السلطات الإسبانية، فلفصلح يفيد بذلك حسب حويلته في اللغة والوجدان الإسبانيين: "النصاري من أصل إسلامي"، و"النصاري الجلد" أو النصاري الصغار". كما يفيد كذلك معنى الإسبانيين، الذين رجعوا إلى نصرايتهم بعدما تخلوا عن الإسلام قهرا. ظاهريا فقط. ولا يخفى ما في هذا المعنى الأخير من تحافت على الواقع التاريخي لإسبانيا، ومن تحامل على الإسلام والمسلمين في الوقت نفسه. للاطلاع على تفاصيل حول هذا الموضوع ينظر كل من: محمد عبد الله عنان، حماية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط: 4، 1987م. ومريثيس غارثيا أرنال، محاكم التفتيش والمورسكيون، تر: خالد عباس، تق: جمال عبد الرحمان، د ب ن: المجلس الأعلى الثقافي، د ط، 2004م.

8- كنيسة: ترجمة عربية لكلمة عبرية تعني الدعوى إلى الاعتقاد. وهي المؤسسة التي تجمع لأتباع؛ وترد لفظة بأكثر من معنى، فهناك كنيسة بمعنى جماعة للمؤمنين في منطقة جغرافية محددة. أما الكنيسة التي تعني مكان العبادة فتأتي من وجهة استعمال المكان، أي أنّ مكان اجتماع الكنيسة صار يسمى "كنيسة" دلالة الكلمة الوظيفية. ينظر: بولوس وهبة، المرجع السابق، ص: 417.

9- بدأت الحملة على الأندلس من الشمال إلى الجنوب في شكل طرد جماعي لسكان المدن ومصادرة أملكهم، حيث هاجر المسلمون نحو الممالك الجنوبية المخاضة لشمال إفريقيا. لكن القادة الصليبيون غيروا خططهم عند وصولهم إلى مملكة غرناطة حيث بدأوها من الجنوب وذلك بعد انتشار أخبار عن إمكانية وصول المد الإسلامي من الجنوب، لذلك فقد سقطت مملكة قبل غرناطة بخوالي خمس سنوات.

10- تعكس أدبيات الصراع ثراء واضحا فيما تقدمه من تعريفات لمفهوم الصراع، كما تعدد أيضا مجالات الاهتمام، ونقاط التركيز التي وليها المتخصصون أهمية كبيرة عند تناولهم للمفهوم بالدراسة والتحليل. فقد قدمت تعريفات كثيرة من طرف الباحثين في العلوم السياسية وعلم الاجتماع، على أن كل مجال فسره وفق المنظومة الخاصة به. فالصراع في مفهومه يعبر عن موقف له سماته أو شروطه المحددة، فهو بداية يفترض تناقض المصالح أو القيم بين طرفين أو أكثر، وهو ثانيا يشترك إدراك أطراف الموقف ووعيها بهذا التناقض، ثم هو ثالثا يتطلب توافر أو تحقق الرغبة من جانب طرف (أو الأطراف) في تبني موقف لا يتفق بالضرورة مع رغبات الطرف الآخر، أو (الأطراف الأخرى)، بل إن هذا الموقف قد يتصادم مع باقي هذه المواقف. ينظر: منير محمود بدوي، مفهوم الصراع: دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع، مجلة دراسات مستقبلية، مصر: مركز دراسات المستقبل. جامعة أسيوط، ع: 3، يوليو 1997م. ص: 38.

11- غرناطة: معناها بالإسبانية "الروانة" وهي شعارها التاريخي، الذي ما زال ماثلا على باب قصبة الحمراء، في شكل ثلاث رمالات صخرية كبيرة. كانت آخر القواعد الأندلسية التي سقطت في يد النصاري الإسبان. ينظر: محمد عبد الله عنان، الآثار الباقية في إسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، د ب ن: مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ط: 2، 1311هـ/1921م. ص: 160.

12- مملكة قشتالة: تقع بين ليون ونبرة؛ يحكمها زعيم محلي مقره برغش "Burgos"، وهذا الزعيم يخضع لملك ليون؛ حصلت قشتالة على استقلالها في منتصف القرن العاشر ميلادي على يد فران غنزالص "Fernan Gonzales" (359هـ/970م). ينظر: الحجي علي عبد الرحمن، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (897/1492م)، دمشق: دار القلم، د.ت. ص 275.

13- أثبتت الدراسات التاريخية أن الأمم المهزومة عادة ما توجه نغمتها إلى الداخل لإنتاج التوازن النفسي المطلوب وذلك قصد التغلب على روح الطهمة، حتى لا تغرق في الرذيلة وتحمي في طريق الانحلال الخلقي، أو تلجأ إلى موجة من الورع والتعبد وتعميق الحس الديني المشوب بالمهانة القومية. وهذا ما حدث تماما في إسبانيا النصرانية بعد الهزائم التي تكبدتها، فاعتبرت إنذارا بنكبات وعقاب على ابتعاد الناس على دينهم.

14- بلنسية: من أعمال الأندلس وتعني "مدينة الثراب". ينظر: ابن الدلائي أحمد بن عمر بن انس العذري، نصوص عن الأندلس (من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تح: عبد العزيز الأهواني، مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، ط 2، د س ط. ص: 27. وهي عبارة عن مدينة ضخمة، تحرقها ميادين فسحة وشوارع واسعة، تقع على مقربة الشاطئ الغربي الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط. ينظر: عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، (المرجع السابق). ص. 80.

15- ينظر كل من: الحجري أحمد بن قاسم، ناصر الدين على القوم الكافرين، تح: رزوق محمد، دار البيضاء: كلية الآداب والعلوم الانسانية، ط: 1، 1407هـ/1987م. ص: 111. و:

Apud Mercedes Garcia Arenal, Los Moriscos, Madrid, 1975. PP: 251-253.

16- هناك الكثير من الأموال تحصلت عليها السلطات الاسبانية من أملاك مسلمي إسبانيا بطريقة حشعة، فقد جاء في تقرير حرة المجلس بمدريد أنّ ما أحرزته مالية المملكة عن عملية بيع ممتلكات المسلمين قدر بمائتي ألف دوكا.

17- لمعرفة تفاصيل أكثر حول هذا الموضوع ينظر: ميغيل أنجيل بونيس إيبارا، حرب غرناطة كما رآها القشتاليون من خلال مخطوطة لم تنشر بعد، بحث نشر ضمن: مجموعة من المقالات ضمن كتاب موسوم ب: دراسات أندلسية وموريسكية، تر وق: جمال عبد الرحمن، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط: 1، 2008م أيضا:

Sylvie Benítez Roca, Iben Humeya et les moresques dans deux œuvres de la littérature Espagnole du XIXème siècle, doctorat de l'université : Paul Valery, Montpellier III arts et lettres langues et sciences humaine et sociales, sous la codirection : Louis Cardiallac, Décembre 2001.

18- أديرة: مفردها "الدير"، وهو المكان الذي يخص من قبل مجموعة من النساك للعبادة والعمل الجماعي المشترك. وكانت مصر وبالتحديد الصحراء المصرية هي المكان الذي نشأت فيها الحياة النسيكية الرهبانية. لتفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: عبد الجليل شلي، الإرساليات التبشيرية، الإسكندرية: منشأة المعارف، د ط، 1987م. ص ص: 173 - 179.

19- الصليبان: جمع لكلمة صليب، وهو الرمز الأساسي في النصرانية، لا بل هو أكثر بكثير من رمز، إنه علامة التعريف فيها. وصار الصليب عند النصارى هو رمز الحب الأقصى تنبها بالمسيح في اعتقادهم، لذا أصبحت علامة الصليب، علامة نصرانية بحسب ما جاء في رسالة بولس. ودخل استعمال علامة الصليب بين النصارى منذ اليوم الأول، إذ آمن النصارى أن العلامة قدّست بسبب صلب يسوع وتغيّرت إلى علامة مجد وبركة بعد أن كانت علامة شرّ ولعنة؛ وكان للصليب أربع أذرع يوضع فوق رأس المصلوب وكذلك توضع لائحة التهم في رقبته. يعتقد النصارى أن آدم عليه السلام حين عصى ربه، وأكل من الشجرة فقد أخطأ، وانتقلت الخطيئة ورثا إلى بني آدم، وأراد الله تعالى -كما يزعمون- أن يكفر عن خطيئة آدم، فبعث ابنه ليصلب، ويكون دمه فداءا تكفيرا عن خطيئة آدم. وهذه العقيدة تتناقض مع أبسط أحكام العقل، وتثير الكثير من الأسئلة من بينها ما علاقة صلب عيسى عليه السلام -كما يزعمون- بتكفير خطأ آدم عليه السلام؟ وإذا كان صلبه خطأ أكبر من أكل آدم عليه السلام من الشجرة، فكيف يكون تكفير خطأ صغير بخطأ أكبر وأعظم؟ ومن تم جاء الاسلام بمفاهيم عقائدية تصحح الكثير مما أصاب العقائد اليهودية والنصرانية من تحريف وتبديل سواء في مفهوم الألوهية أو النبوة أو صحة كتبهم المقدسة. ينظر: بولس وهبة، المرجع السابق. ص 334.

20- انتشر القساوسة في سائر أنحاء المدينة وأراضيها يدعون إلى التصير ويمنون الناس بالحقوق التي سوف يتحصلون عليها تبعا لذلك، فكانت تعليمات فرنانلو الموجهة إلى الكونت "تنلله" "Tandalla" توصي باستعمال سياسة اللين والتسامح بمقدد اجتذاب أكبر عدد ممكن إلى النصرانية، وتأجيل استخدام القسوة لوقت مناسب. ينظر: دون باسكوال بورونات، المصدر السابق. ص: 118. وعلى هذا الأساس انكب القساوسة والرهبان على تعلم اللغة العربية والاطلاع الأعمق لتعليم الدين الإسلامي. لكن هذا الأمر أحدث أثرا عكسيا، فالشريعة الإسلامية تجعل

من يفكر فيها تفكيراً علمياً منصفاً يعيد النظر في إيمانه إن كان غير مسلم، وهذا ما حدث فعلاً مع بعض القساوسة، الأمر الذي أثار الفزع في الإدارة الإسبانية، فأصدروا أمراً بوقف هذا النوع من الدراسات، وإن حصل ذلك فلا يتم إلا بأمر وترخيص من السلطات الإسبانية.

21- لم تكن هذه السياسة بالنجاح، حيث تعاون مسلمو إسبانيا مع العثمانيين والمغاربة، هؤلاء كانت مراكزهم تحول في ميه بلنسية، فكانوا يقدمون لهم الإشارات ويطلعونهم على نقاط الضعف والقوة بالبلد أو إمكانية حراسة القوات الإسبانية.

22- الكتاني، للرجع السابق، ص: 163.

23- أحمد بن قاسم الحجري: ولد حوالي 980هـ/1570م في قرية أحجر (UGIJAR) إحدى قرى مملكة غرناطة، وإليها ينسب. ولد وعاش في ظلمات محاكم التحقيق فأجاد اللغة الإسبانية، غادر الأندلس سنة (1007هـ/1598م) قاصداً مراكز حيث عمل مترجماً في بلاط أحمد للنصور الذهبي، رابع سلاطين الدولة السعدية، ثم على عهد ولده مولاي زيدان. عرف بجداله لعلماء اليهود والنصارى. خلال عودته من الحج استقر في تونس فكانت له صلة بأمرها العثماني البادي مراد؛ كما تعرف هناك على أحد مسلمي إسبانيا وهو الرئيس إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي (أواسط ق 11هـ/أواسط ق 17م) الشهير بالرباش من نولش من قرى غرناطة، ألف كتاباً باللغة الألفميدية عن الجهاد بالمداغ فترجمه الشهاب إلى العربية. ينظر: عبد الله حجي، هجرة العلماء الأندلس لدى سقوط غرناطة (ظروفها وآثارها)، د ب ن: السلسلة الأندلسية، د.ت. ص: 77. --- 24- الشهاب الحجري، المصدر السابق، ص 112.

25- الكتاني، للرجع السابق، ص: 148.

26- CHAUMU, Monorites et conjoncture l'expulsion des Morisque en 1609, R his, Paris, 1961, n°1, P: 90.

27-Henry Kamen, l'histoire de l'inquisition espagnole, Paris, 1966. P: 50.

28- اشيلية: مدينة كبيرة وعامرة، ذات أسوار حصينة وأسواق كثيرة تقع على نهر الوادي الكبير. أصبحت بعد الفتنة عاصمة لمملكة بني عباد، ولم تفقد أهميتها في عصر الملوحدين إلى أن استولى عليها النصارى نهائياً سنة 646هـ/1248م. ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نهضة المشتاق، تح: إسماعيل العربي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 1983 م. ص: 264.

29- لقد كان النبلاء والإقطاعيون أكثر للتضررين مباشرة من قرارات تعميم مسلمي إسبانيا وملاحقتهم، فحاول كارلوس الخامس تلطيف وقع قراراته على اقتصاد النبلاء من خلال منحهم أوقاف المساجد التي تم تحويلها إلى كنائس، ولكن هذا الإجراء لم يلق قبول الجميع؛ فتطورت معارضة قوية لهذه السياسة، واستطاع النبلاء في نهاية المطاف الضغط على كارلوس والكنيسة بتغيير سياستهما اتجاه مسلمي إسبانيا خاصة في كل من أراغون وغرناطة.

30- طليطلة: "مدينة أولية من بانيان الأول، عظيمة الغور، جلييلة الوضع، منيعة وحصينة"، كثيرة المياه والثمار؛ كانت قسبة بلاد الأندلس وقاعدتها العظمى. ينظر: مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، مخطوط رقم: 1528، الرباط: الخزنة الحسنية، ورقة رقم: 57.

31- الكتاني، للرجع السابق، ص: 149.

32- كتب غوستاف لوبون حول الموضوع يقول: "...مما يرى له أن حرمت إسبانيا عمدا هؤلاء الملايين الثلاثة الذين كانت لهم إمامة السكان الثقافية والصناعية؛ ثم رأت محاكم التحقيق أن تبيد كل نصراني ترى فيه شيئا من البهانة والفضل. وقد كان من نتائج تلك المظالم المزوجة أن هبطت إسبانيا إلى أسفل دركات الانحطاط بعد أن بلغت في أيام العرب قمة المجد، وأن انهار كل ما كان فيها من

الزراعة والصناعة والتجارة والعلوم والآداب". ينظر: حضارة العرب، تع: زعيتر عادل، مصر، د ط، 1945م. ص: 292.

33- الكتاني، للرجع السابق، ص 150. --- 34- قشتاليو محمد، المرجع السابق، ص 107. --- 35- الكتاني، المرجع السابق، ص 190.

36- أوغستان دي ميخيا: اكتسب شهرته خلال حرب الأندلس التي قادها وأظهر فيها شجاعة كبيرة، وقد تقلد مناصب في بلاط العرش الإسباني، من بينها خدمته في بلاط الملك فليب الثاني.

37- عرفت بلنسية تحديداً متواصلاً من قبل العثمانيين والمغاربة معا لكونها تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وإليها ترد السفن القادمة من آسيا ومن العالم الإسلامي، ولكونها من المدن الغنية بالتجارة والصناعة والزراعة.

- 38- سقطت جزيرة ميورقة على يد جيوش متحدة من مملكة أراغون ومملكتها جليش بن بطوه بن جليش "Jaime I"، ومن فرنسا وإيطاليا، الذين أمعنوا في أهلها سفكاً، رافضين المصالحة. ينظر: لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج: 1، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج: 1، تح: محمد عبد الله عنان، القاهرة: الشركة المصرية للطباعة والنشر، 1393هـ/1973م، ص: 283.
- 39- كانت السلطات الإسبانية تتخوف من هجوم عسكري جزائري، ذلك أن أسطولها كان من أقوى الأساطيل على مستوى غربي البحر الأبيض المتوسط، لذلك استغرت كل قواتها لتفادي أي مفاجأة غير مرغوب فيها. --- 40 - عرفت في المصادر الإسبانية بأمر البحر.
- 41 - عندما رأى مسلمو مملكة أراغون ما حل بإخوانهم في بلنسية أخذوا يرفضون زراعة الأرض، ويبيعون ممتلكاتهم، ويسلون بأموالهم إلى فرنسا، كما هاجر الكثير منهم إلى المنطقة نفسها.
- 42- **بلد الوليد:** كانت هذه المدينة من القواعد الأندلسية التي احتلها الأسبان، ولم تمكث تحت حكم المسلمين أكثر من قرنين. واسمها ينم عن أصله الأندلسي. ينظر: عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، (المراجع السابق). ص: 318.
- 43- **سرقسطة:** مدينة كبيرة في شمال شرقي الأندلس عن الضفة اليمنى من نهر ايرة (Ebra). ينظر: سالم عبد العزيز، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، بيروت، د ط، 1962م، ص: 83.
- 44- Exclusion Justificada de los Mariscos Espanoles Parte2, Capitulo 2, p: 90.
- 45- بدأ مسلمو قشتالة بالهجرة منذ بداية عام 1018هـ/1609م، ربما حدث ذلك بمساعدة السلطات التي كانت ترغب في تجنب آثار الطرد الجماعي التي وقعت في إقليم فالنسيا. --- 46- ضمت قشتالة كل من الأندلس، مملكة مرسية، استرمادورا وباقي المملكة.
- 47- لم يصدر القرار الخاص بطرد مسلمي مملكة قشتالة قبل عام 1018هـ/1609م، فقد كان القرار في بداية الأمر يشمل مصادرة جزئية لأموال مسلمي المنطقة لصالح الخزينة الملكية بدلاً من بيع الممتلكات بشكل كلي كما حدث مع مسلمي فالنسيا.
- 48- بعد نشر قرار الطرد قلم نصارى مرسية بمظاهرات احتجاج توجهوا فيها إلى الكنائس، حيث قاموا بدعوات لموسكي بلنسية وألقوا فيها خطبا عامة دافعوا فيها عنهم. --- 49- خلال تلك الحقبة التاريخية كان عضوا في الجيش البري والبحري الإسباني.
- 50- **وادي رقوط:** منطقة ضمت ست قرى في مرج وادي شقوق تابعة للويس فاختاردو، ماركيز بليش.
- 51- لعل الظاهرة التي استقطبت معظم الباحثين عند دراستهم لمظاهر الحياة اليومية لمسلمي إسبانيا هي أسلوبهم في الحفاظ على دينهم بإظهار النصرانية وإبطان الإسلام، فكانت التقية الوسيلة الفعالة أمام أساليب التمزيق والتفريق التي اتبعتها السلطات لكنسية والرسومية في إسبانيا وهي تجربة فريدة من نوعها، إذا حاولنا قياسها بألوان الاضطهاد والعنصرية والطهير العرقي الذي مارسه السلطات الإسبانية؛ ولا شك أن محتتهم هذه ما زالت تؤرق الضمائر الحية التي حاولت تقديم حقائق الصراعات الدينية والاجتماعية، وأسبابها العميقة.
- 52- Azner Cardona , Exclusion Justificada de los Mariscos Espanoles , Parte2, Capitulo 2. P: 91.
- 53- الكتاني، للمرجع السابق. ص 176. --- 54- دي إيبالنا ميكيل، الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى، تر وتق: عبد الرحمان جمال، د م ن، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، 2005م، ص: 55.
- 55- Azner Cardona, Op. Cit. P: 92.
- 56- هناك مجموعة من العوامل ساهمت في قرار اختيار دول المغرب العربي كوطن بدلي لمسلمي إسبانيا، من بين هذه العوامل نذكر العامل الجغرافي، فيغض النظر على قرب المسافة بين المنطقتين فالخنقل من أرض الأندلس نحو المغرب يشعر بأنه في المكان نفسه، فالأودية والضياع للعلاقة في أعالي السفوح والجو ومشهد الشوارع في المدن الصغرى، حتى أوضاع الناس، كل ذلك يتشابه تشابهاً عجيباً. في حين تمثل العامل التاريخي في أن بلاد المغرب وجدت نفسها مدعوة منذ أن فتح للمسلمون الأندلس، تلعب دوراً هاماً في عملية استقرار المغاربة في هذه البلاد، إذ أن العلاقات التاريخية بين البلدين في العهد الإسلامي تعود إلى نهاية القرن الأول الهجري. فاستقبلت الأندلس الكثير من سكان المغرب الذين ما لبثوا أن تمازجوا مع سكان المنطقة. وقد ظلت المحررات الأندلسية منذ الفتح الإسلامي، محفظة على توازنها بين العلوتين لارتباطها بما يعرف في الاصطلاح الجغرافي بعملية الجذب والطرْد.
- 57- لقد قدر عدد المسلمين الذين طردوا من إسبانيا باتجاه فرنسا حوالي 50000 مسلم على أقل تقدير، ولكن عندما تكاثروا الوافدون على المنطقة وهم على ما هم عليه من فقر وتعبد ومرض، أخذ الفرنسيون يشتكون إلى الملك هنري الرابع من وجودهم، لذلك أصدر بتاريخ 1019هـ/25-4-1610م أمراً ملكياً يقتضي بتوجيههم إلى خارج فرنسا. وساءت معاملة مسلمي إسبانيا خاصة بعد وفاة الملك هنري الرابع سنة 1019هـ/1610م، فقررت السلطات الفرنسية إغلاق الخلود عنهم، كما هدد برلمان اللانكوى بتعذيب كل من يرفض الخروج من فرنسا؛ ونظرا

للظروف القاسية التي واجهت مسلمي إسبانيا عند إقامتهم بفرنسا، اضطروا إلى الهجرة نحو بلدان أخرى معظمها إسلامية؛ ولم يبق بفرنسا سوى ألف مسلم تقريبا سمح لهم بالإقامة في المدن، حيث عمل بعضهم في التجارة وآخرون في الطب، بينما ظل الكثير منهم يعمل في الزراعة. ومن بين النماذج التي استقرت بفرنسا نذكر المدعو لالاس لورانزو أنريفا "Alias Lorenzo Enripaz" الذي أسر في عرض البحر على السواحل الأندلسية سنة 1029هـ/1620م. أيضا أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي الذي تحول إلى فرنسا بعد مكوثه مدة بالمغرب الأقصى. ينظر: لوي كاريك، للموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، تر: التميمي، زغوان: منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1983م. ص: 94.

58- دخل عدة آلاف من مسلمي إسبانيا المطرودين إلى إيطاليا، ولم يستقر منهم بما سوى حوالي ألف مسلم، أقام معظمهم في صقلية جنوبا وفي تسكانيا شمالا. ينظر: الكتاني، للرجع السابق، ص 182.

59- محاكم التحقيق: أما اختيارنا لعبارة "محاكم التحقيق" بدلا عن التسمية التقليدية "محاكم التفتيش"، فالسبب يعود إلى أن الأصل التسمية هو "Inquisitio"، من كلمة "Inquiry" التي تعني: تحقيق واستفسار وبُحث. إذن، "لجان التحقيق" هي أقرب للمعنى الحقيقي منها "لجان التفتيش" ذلك أن الهدف من هذه اللجان كان التحقيق مع النصارى المتهمين لاستيئان حقيقة موقفهم من الديانة النصرانية الكاثوليكية. لذلك ينبغي أن نوضح حقيقة تاريخية وهي أنه المقصود من خلال هذه العملية هم النصارى الخارجين عن العقيدة الصحيحة في منظور الكنيسة، أما المسلمون أو اليهود فلا سلطة لهذه اللجان عليهم لأنهم لا يدينون بالنصرانية. وقد اختلف استعمال تسمية هذه المحاكم من مرجع إلى آخر خاصة العربية منها التي قامت بترجمة التسمية من اللغة الإسبانية، فهناك من اختصر نعتها بمحاكم التفتيش، وهناك من أطلق عليها "ديوان التحقيق". ينظر: محمد عبد الله عنان، حماية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط: 4، 1987م. ص: 19.

60- Henry Kamen, Op. Cit. P: 70.

61- فرونسوا بارتزو: مؤرخ فرنسي زار إسبانيا سنة 1655م. ينظر: عادل البشتاوي، للرجع السابق. ص: 189.

62- ابن عبد الرزاق، اللوحة البدرية في الدولة النصرانية، القاهرة: المطبعة السلفية، د ط، 1348هـ/1928م. ص: 335.

63- محمد عبد الله عنان، انبعاث الإسلام في إسبانيا، (الرجع السابق). ص: 196192.

### Summary: "The tragedy of the expulsion of the Muslims of Andalusia after the fall of Granada: dimensional analysis"

The collective expulsion of Muslims from Spain who had 1018/1609 Set up a new episode of extrusion Proceeds By the authority and the Church Religious, social, cultural and economic With all the cruelty and injustice towards the Muslim population unarmed.

Any study on the subject of the expulsion of the Muslims Spain it must lead us quickly a tragic end Their causes as a case history.

There were religious, demographic, political and military causes She was behind the project the expulsion of Muslims from Spain Each of them was important.

The expulsion of Muslims from Spain was In the circumstances, it is impossible for researchers Today expressed honestly and accurately tripping to the horror and injustice flagrant and deliberate; The Spanish authorities prevented the expellees to their wealth, If for this cause they have sold their properties at a lower cost He left some of them during the process of moving through the Spanish vessels, In the villages deserted without funding or ammunition, and Most of them died in terrible circumstances; And that has survived Went to Morocco, Algeria, Tunisia and other Arab countries And France and Italy and Istanbul and even Latin America Where they have found their architectural monuments.